المؤدبون وصنعة التأديب

المؤدبون وصنعة التأديب
دراسة في التراث التربوى الاسلامى

للدكتور محمود قمبر
أستاذ التربية المساعد بجامعة قطر

مفـــهوم التـــأديـــــب :

تشيع في المعجم التربوى الإسلامى ثلاث كلمات لها دلالة كبرى في مجال تنشئة وتثقيف الافراد : تربية وتعليم وتأديب ، يمكن قبولها كمرادفات لفظية لها معنى واحد أو متقارب . ولكن مع النظر والتدقيق وفي إطار تحليل الدلالة الخاصة لكل منها ، نجد تباينات معنوية تباعد بينها وتجعل كل كلمة مستقلة بمعناها وغير متطابقة مع الأخرى .

فالتربية استخدمت أولا ، وبصفة خاصة ، في مجال تنشئة الصغار وإعالتهم ورعايتهم . يقول تعالى : « وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا » ويقول : « ألم نربك فينا وليدا » ، وقد يبدو لبعض الباحثين في التربية الإسلامية ان هذا المعنى ضيق أو جزئى أو خاص[1] ، ولكنه في الواقع معنى واسع ، متعدد الأبعاد . فالتربية التى تعنى تنشئة الصغير عملية واعية شاملة تعرف أهدافها ووسائلها ، وتفرز آثارها العميقة في تشكيل الأفراد وتطبيعهم وتسويتهم . ولهذا علل إخوان الصفاء اختلاف الناس - بعضهم عن بعض - بسبب طرائق التربية التى يتعرضون لها من قبل آبائهم وأساتذتهم الذين يربونهم ويؤدبونهم .[2]

كما يرى الجاحظ أن « التربية ضرورية لإخراج الناس من حد الطفولة والجهل إلى حد البلوغ والاعتدال والصحة وتمام الأداة »[3] ويتفق معه مرب آخر - مجهول

الاسم والهوية ـ حيث يقول : « من ربى ما له ولم يرب ولده ، فقد ضيع الولد والثروة »[٤]. وابن الحاج (العبدرى) يذكر في الجزء الرابع من كتابه « المدخل » فصلا عنوانه « فصل في تربية الأولاد ومشيهم على قانون الشريعة »[٥] ويكثر المحبى في كتابه « خلاصة الاثر » من ذكر عبارات دالة على هذا المعنى الواسع للتربية ، فيقول : « رباه والده ، تربى في حجر والده ، نشأ في تربية أبيه . . الخ »[٦] .

فالتربية هنا أوسع وأعم من مجرد إعالة أو تنشئة عفوية ، أو رعاية مادية ، إنها تتسع لتتضمن مع هذه المعانى الأولية معانى أخرى يغطيها ما نصطلح عليه باسم التعليم أو التأديب أو التثقيف .

ولقد فسر البخارى لفظة « الربانى » في قوله « كونوا ربانيين » بأنه « الذى يربى الناس بصغار العلم قبل كباره » أى بمسائله الواضحة السهله قبل الدقيقة أو المعقدة .

ومع ذلك ، فقد تأخذ « التربية » أحيانا معنى خاصا ، كالذى ذهب إليه الشيعة في تعابيرهم مثل « تربية المؤمنين » ، أو كالذى ذهب إليه المتصوفة في أقوالهم : « تربية المريدين » فالتربية هنا تعنى التشكيل الإيديولوجى الشامل لشخصية الشيعى المؤمن بعقيدته ، أو التهذيب الروحى والأخلاقى لشخصية المريد الذى يربيه شيخه على مبادىء طريقته الصوفية .

أما « التعليم » ، وقد شاع استخدامه في آيات القرآن ، ونصوص الأحاديث ، ولغة المجتمع ، فيعنى بفنية إكساب المعلومات ، أو المهارات أو العادات والقيم والاتجاهات . .

ففي القرآن نجد آيات مثل : « وعلم آدم الأسماء كلها » ، « وعلمك ما لم تكن تعلم » هل أتبعك على أن تعلمنى مما علمت رشدا » وكلها تتساوق في إبراز هذا المعنى الخاص بإكساب المعرفة .

ونجد آيات أخرى مثل « وعلمناه صنعة لبوس لكم » ، « يعلمهم الكتاب والحكمة » ، ويعلمك من تأويل الاحاديث » ، وفي الحديث : « حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة وألا يرزقه إلا طيبا » .

فالتعليم هنا تعليم مهارات عقلية أو يدوية أو بدنية . كما استخدم « التعليم » بمعنى إكساب عادات الأكل والمشى والجلوس والتحية والاستئذان ، وإكساب القيم والاتجاهات السلوكية . يقول الغزالى : « فإن عود (أى

الطفل) الخير وعلمه نشأ عليه » .[٧]

وهكذا يصبح « التعليم » جزءا من التربية ، ولعله الجانب الفنى منها ، والذى يستخدم في تخصصات مختلفة ، وهو كما نرى ليس - كما يزعم بعضهم - أعم وأشمل من التربية .[٨]

أما « التأديب » ، فهو المعنى بالجانب الخلقى من التربية : يقول (ص) : « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » ، ويقول (ص) موجها حديثه إلى الآباء « الزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم » ، ويقول كذلك : « لأن يؤدب الرجل ولده خير له من أن يتصدق كل يوم بنصف صاع على المساكين » .

وفي هذا المعنى الأخلاقى التهذيبى للتأديب ، يقول ابن مسكويه : « ليس شيئا من الأخلاق طبيعيا للإنسان ولا هو غير طبيعى له ، وذلك أنا مطبوعون على قبوله ، وإنما ينتقل بالتأديب والمواعظ . . . »[٩]

وكثيرا ما نرى لفظتى « التأديب والتعليم » مقترنتين في سياق واحد ، مما يدل على أن لكل منهما معنى ذاتيا لا تؤديه اللفظة الأخرى .[١٠]

وبرغم هذه التباينات الدقيقة للمعانى الخاصة التى تحملها كل من كلمات « التربية - التعليم - التأديب » فإنها كثيرا ما استعملت بمعنى عام ، ومن ثم فقد تحل إحداها محل الكلمتين الأخريين[١١] فالتربية تعليم كما أنها تأديب ، والتعليم لا يخلو من جانب تربوى ولامن قيم تأديبية تصاحبه ، والتأديب هو كذلك تربية ، كما أنه تعليم . . ولهذا نجد مؤرخى التراجم يستخدمون هذه الكلمات ويمزجون بينها ، فتارة يذكرون العالم بأنه مؤدب أو معلم ، ويصفون عمله بفعل « يربى أو يؤدب أو يعلم . ويؤلف ابن جماعة كتابه بعنوان : « تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم » ويقصد بالعالم « الشيخ المؤدب أو المعلم » . ولم يكن غريبا أن يحدد واحد من علمائنا المسلمين معنى التأديب بأنه « التعليم »[١٢] والخطيب البغدادى قد يسمى فى أحيان كثيرة الشخص الواحد مرة بالمؤدب ومرة بالمعلم[١٣] ومع شيوع هذين اللفظين فإن لفظ « المربى » كان قليل الاستعمال ، ولم يكن له هذا الشيوع الذى نراه اليوم ، وعلى العكس من ذلك شاعت كلمات الشيخ والعالم والمؤدب والمعلم والمدرس (وبالذات عند ظهور وانتشار المدارس) .

وبمرور الزمن وتعاظم مهنة التعليم ، وبروز فئات من كبار الشيوخ العلماء الذين احترفوا مهنة التعليم ، اختص هؤلاء بلفظ « المؤدبين أو المدرسين » تمييزا

لهم عن طبقة أخرى متكاثرة ، لأفرادها صورة اجتماعية غير مشرقة يقومون بتعليم الصغار في مكاتب موقوفة أو خاصة ، ويتخذون منها حرفة متواضعة يتعيشون منها هى « حرفة الزمنى » كما يقول المعرى ، أو « حرفة الحمقى » كما يصفها الجاحظ . وعلى هؤلاء أطلق لفظ « المعلمين أو الفقهاء » . ومع ذلك فلم يكن هناك قيد يمنع الناس من إطلاق كلمة « معلم » على أى شيخ كبير ، أو عالم مهيب . فالمقدسى يذكر عن الديلم بأنهم « يسمون العالم معلما (ويقول) « وربما تعلقوا بى وقالوا : لوك معلم » (أى أنت معلم جيد)[١٤] وكان من الجائز أن يقال عن المؤدب إنه معلم فلان . . فابن فرشتا الحنفى ترجم له أنه « كان معلما للأمير محمد بن آيدين ، ومدرسا بمدرسة تيرة »[١٥] وأبو الأسود الدؤلى ترجم له بأنه كان « يعلم أولاد زياد بن أبيه »[١٦]

وكان من المؤدبين كثيرون درسوا للصبيان من أبناء العامة ، شأنهم في ذلك شأن المعلمين من فقهاء المكاتب . فإبراهيم بن عبد الله الحموى م/٧٧٣هـ كان مؤدبا ، وقال عنه ابن الجزرى « شيخنا أبو إسحاق قدم دمشق فجلس بمسجد بالعقبية يعلم الصبيان ، وكان مجودا حاذقا »[١٧] والقلقاط المؤدب ، أول من فك كتاب سيبويه وفتح مغالقه كان « معلم صبيان »[١٨]

ولما كان تعليم الصبيان « مهنة المتواضعين الذين يريدون أمام الناس ستر أحوالهم » فقد عمل بها بعض العلماء تواضعا ومسكنة كالعارف بالله الشيخ رستم خليفه البروسى ، وكان منهم من يعتبر أن أجر التعليم للأولاد هو « المال الحلال »[١٩] وعلى العكس من ذلك كان هناك مؤدبون أصحاب شهرة عملوا في بدء حياتهم كمعلمى صبيان ثم أقلعوا عن هذه الحرفة وترفعوا بأنفسهم ، منهم ابن السكيت الذى كان يعلم مع أبيه الصبيان في بغداد ، وحصل على أجر حقير ، « فأقلع - كما يقول ابن خلكان - عن تعليم صبيان العامة ، وحفل بتعلم النحو رجاء أن يكون مؤدبا أو عالما »[٢٠] وأبو جعفر الضبى الذى أدب عبد الله بن المعتز كان معلم كتاب قديما .[٢١]

هذا الخلط أو التمييز (وهما صفتان متناقضتان) في استعمال الأسماء أو الصفات أو الألقاب لأولئك الذين يقومون بمهنة التعليم ، لم يكن فريدا في المجتمعات العربية والإسلامية ، بل كان له نظير في المجتمعات الأجنبية الاخرى .

ففي فرنسا نجد بجوار لفظ معلم (Maitre أو Enseignant) والذي يطلق

على كل من يقوم بالتدريس في أى مستوى كان ، ألفاظا أخرى تحدد وضع كل فئة مهنية من فئات المعلمين ، فمعلمو المدارس الابتدائية عرفوا باسم Instituteurs ، ومعلمو المدارس الثانوية والجامعات عرفوا باسم Professeurs ، ثم يضاف إلى هذا اللقب نوع المؤسسة التى يعمل بها كل فريق للتمييز بينهما .

وفي انجلترا - وحتى عهد قريب - كان يطلق على المعلم بالمدارس الابتدائية كلمة Elementary teacher ، بينما يطلق على المعلم بالمدارس الثانوية كلمة Teacher وعلى الأستاذ الجامعى كلمة Professor . وبرغم التوحيد الرسمى لكلمة « معلم » Teacher منذ ١٩٤٩م ، فإن الجمهور مازال يصر على استخدام هذه الألفاظ الاصطلاحية التى تمايز بين طوائف المعلمين .(٢٢)

وسوف نتعرض في هذه الدراسة لطائفة من علمائنا الشيوخ الذين اشتغلوا بصنعة التأديب ، أو التدريس الخصوصى في القصور والبيوتات الرفيعة ، وتخصصوا في مواد علمية أو أدبية أو فنية أو عملية ، وكان تدريسهم يقوم على المواجهة الشخصية فردا لفرد ، وتبعا لرغبة ولى الأمر ، حيث علموا ما كان يطلب منهم نظير أجر معلوم ، وعرفوا باسم « المؤدبين » .

متى ظهر المؤدب :

ظهر المؤدب بهذا المفهوم في دول الحضارات القديمة كالبلاد الإغريقية والفارسية ، ونحن نعلم أن أرسطو كان المؤدب الخصوصى للإسكندر الأكبر المقدونى . وفي المجتمع الإسلامى ظهر المؤدب منذ عصر مبكر في أيام الخلافة الأموية التى أخذت في الشام بكثير من التقاليد الأجنبية وبالذات نظم الحكم والإدارة . ولدينا من الأمثلة والشواهد ما يؤيد ذلك الرأى .

- فأبو مسلم كان مؤدب عبد الملك بن مروان .(٢٣)
- والزهرى كان مؤدب ولدى هشام بن عبد الملك .(٢٤)
- وعبد الله بن عبد الله بن عتبة الإمام الحجة م/٩٨هـ كان مؤدبا لعمر ابن عبد العزيز ، كما أدبه أيضا المدنى العالم صالح بن كيسان م/١٣٩هـ .
- وعبد الصمد بن عبد الأعلى كان مؤدبا للوليد بن يزيد بن عبد الملك .
- والجعد بن درهم كان مؤدب مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية ، كما كان مؤدب ولده .(٢٥)

ويبدو أن الخلفاء وهم من كبار العلماء المثقفين كانوا البادئين باتخاذ المؤدبين لتهذيب وتخريج أبنائهم بالشكل الذى يتناسب مع أوضاعهم ومراكزهم وأعمالهم المستقبلة . وتعاظمت هذه السنة ، فاتخذ خلفاء بنى العباس لأولادهم مؤدبين أكفاء . ويروى أن الخليفة المنصور ، وهو ثانى الخلفاء العباسين عين المفضل الضبى مؤدبا لولى عهده الصبى ، ثم قلده من بعده الخلفاء حيث استدعوا العلماء إلى قصورهم لتأديب صغارهم .[٢٦] وكذلك كان يفعل خلفاء وأمراء الأندلس . ويقال إن جودى بن عثمان النحوى م/١٩٨هـ كان « أول من أدب أولاد أمراء الأندلس » وقد أخذ عن الكسائى ، ولقى الفراء والرؤاسى .[٢٧]

زبائن المؤدب :

لم يقتصر التأديب على أولاد الخلفاء ، بل تعداهم إلى أبناء السلاطين والملوك والأمراء ، ثم إلى أبناء الوزراء والولاة والقواد ، ثم إلى أبناء القضاة والعلماء والأغنياء من أصحاب المراكز والثروة والنفوذ الذين احتفظوا بتقاليد خاصة ، وقيم طبقية أو ثقافية ، وأرادوا لأبنائهم عناية وافرة في مجالات الثقافة العامة والمتخصصة ضنابهم أن يختلطوا بأبناء العامة الذين يغشون المساجد أو المدارس أو المكاتب ويتلقون تعليما مجانيا مكفول النفقات يرعاه المحسنون من محبى العلم والحضارة .

كما استقدمت الأسر المحافظة لبناتها ولجواريها مؤدبين ماهرين ، حيث كرهوا لهن الاختلاط بالصبيان في الكتاتيب والمدارس . وقد شاعت ظاهرة تخريج الجوارى على أيدى مؤدبين متنوعى التخصصات العلمية والأدبية والفنية .

من مؤدبى أولاد الخلفاء :

- سعيد المؤدب م/١٦٩هـ وكان مؤدب موسى الهادى[٢٨]
- أبو موسى الضرير كان يؤدب ولد المهتدى[٢٩]
- الكسائى كان مؤدب الأمين والفراء كان معلما لأولاد المأمون[٣٠]
- ابن السكيت كان مؤدب ولدى الخليفة المتوكل[٣١]
- هبة الله بن عبد الله م/٤٧٨هـ كان مؤدبا للخليفة المقتدى ثم أدب أولاده .

- ابن أبى الدنيا م/٢٨١هـ كان يؤدب المكتفى بالله .[٣٢]

وممن أدبـــوا أولاد الخـلفـــاء بالأنـدلـــس :

- سوار بن طارق الذى أدب أولاد الخليفة هشام بن عبد الرحمن .
- وسعيد بن عيشون الألبيرى الذى أدب بعض أولاد الخلفاء .
- وأيوب بن مصور القرطبى المعروف بالذهن أدب بعض أولاد الخلفاء .
- وبكر بن عبد الله الكلاعى وحسين بن الوليد المعروف بابن العريف ، ومحمد ابن اسمـاعيل النحـوى المعروف بـالحكيم ، وأبو بكـر الـزبيـدى وغيـرهم كثيرون[٣]

ومن المؤدبين من اختصوا فقط بتأديب أولاد الخلفاء دون غيرهم ، ولم يعلموا سواهم اعتزازا بأنفسهم وحفظا لأقدارهم ، ومن هؤلاء .

إسماعيل بن موهوب الجواليقى م/٥٧٥هـ ، وبكر بن عبد الله الكلاعى القرطبى المعروف بابن القملة .[٣٤]

وكان من أولاد الخلفاء من تأدب على أيدى أكثر من مؤدب ، فالمأمون أدبه كل من اليزيدى والكسائى ، والأمين أخوه أدبه الكسائى والأحمر ، وابن المعتز أدبه كل من ابن السكيت والبلاذرى وأبـو جعفر الضبى ومحمـد بن هبير المعـروف بصعوداء[٣٥]

ومن مـؤدبى السلاطـين والمـلوك والأمـــراء :

- الـزبير بن بكـار ، استخدمـه الأمـير محمـد بن عبـد الله بن طـاهـر مؤدبـا لولده .[٣٦]
- أبو سعيد السيرافى النحوى ، كان مؤدب الأمير أبى اسحاق بن معز الدولة أبى الحسين بن بويه .[٣٧]
- أحمد بن فارس ، كان يؤدب مجد الدولة ابن ركن الدولة ابن بويه[٣٨]
- أحمد بن يحيى ثعلب م/٢٩١هـ ، كان مؤدب عبد الله بن طاهر .
- موسى بن عبد الله الطرزى ، كان يؤدب أولاد السلاطين بأفريقيا .[٤٠]
- الحسين بن خالويه بن حمدان م/٣٧٠هـ بحلب ، اختص بتأديب سيف الدولة

ابن حمدان وأولاده .[٤١] وكذلك أدبه أبو داود النحوى .[٤٢]

- محمد بن يحيى المعروف بالرباص م/٣٥٣هـ أدب المغيرة بن الناصر لدين الله بالأندلس .[٤٣]

- ابو القاسم العريف م/٣٩٠هـ أدب أولاد المنصور محمد بن أبى عامر بطليطلة[٤٤]

- أبو المنهال ، تلميذ الخليل بن أحمد كان مؤدب الأمير أبى العباس عبد الله ابن طاهر بن الحسين .[٤٥]

- أبو محمد البنجديهى ، أقعد لتأديب الملك الناصر صلاح الدين الأيوبى .[٤٦]

- ابن دحية ، أدب الملك الكامل بمصر .[٤٧]

- أبو محمد بن الأصبحى الظفارى م/٦٧٥هـ ، كان سيبويه زمانه ، وكان معلما لادريس الحيوصى الذى صار ملكا .[٤٨]

ومن مؤدبى أولاد الولاة والوزراء والقواد :

- أبو الاسود الدؤلى معلم أولاد زياد بن أبيه[٤٩]

- قطرب ، مؤدب أولاد القائد أبى دلف أمير الكرخ وأحد قواد المأمون والمعتصم .[٥٠]

- أبو عبيد يؤدب عند هرثمة أمير الجيوش ، ثم لدى والى طرسوس .[٥١]

- عبد الله بن محمد بن سفيان الخراز م/٣٢٥هـ كان معلما في دار الوزير أبى الحسن على بن عيسى بن الجراح .[٥٢]

- محمد بن ولاد ، أدب ولد صاحب خراج بغداد[٥٣]

- دوخلة المعروف بابن القارح ، أدب ولدى الحسين بن جوهر القائد بمصر[٥٤] كما أدب كذلك أبا القاسم المغربى الذى وزر ببغداد .

- محمد بن العباس ، مؤدب أولاد عبد الله بن الحسن ، عامل أصبهان[٥٥]

- الأخفش القديم ، مؤدب ولد اسحاق بن عبد القدوس عامل طبرية[٥٦]

- ابن القطاع الصقلى ، أدب ولد الأفضل ابن أمير الجيوش بالقاهرة .

- محمد بن محمد بن أبى حنيفة ، كان مؤدبا لابن مستوفى أربل .[٥٧]

ومن مـؤدبى أولاد العلمـاء والقضـاة والأثريـاء :

- الأخفش كان مؤدبا لأولاد الكسائى في منزله وقد آواه فيه[٥٨]
- الأخفش الأوسط أو سعيد بن مسعدة أبو الحسن ، قرأ النحو على سيبويه وكان أحسن منه ، قال له سيبويه : « لى أولاد أحب أن يتأدبوا بك ويتخرجوا عليك ، وتكون معى غير مفارق لى » ، ففعل[٥٩]
- أبو الحسن الأصفهانى الكسروى ، معلم ولد أبى الحسن على بن يحيى المنجم ، أحد العلماء النحويين الشعراء ، كما أدب هارون بن على يحيى النديم[٦٠]
- هشام بن معاوية الضرير النحوى الكوفى م/٢٠٩هـ كان يؤدب ولد الرخجى[٦١]
- القلفاط م/٣٠٢هـ كان مؤدبا لابن القومى الكاتب[٦٢]
- ابو عمر الزاهد م/٣٤٥هـ المعروف غلام ثعلب كان يؤدب ولد القاضى أبى عمر محمد بن يوسف[٦٣]
- محمد بن على الزوزنى المعروف بالبحاث م/٣٧٠هـ ببخارى كان يؤدب أولاد أبى اسحاق المزكى النيسابورى[٦٤]
- محمد بن عبد الله المذكر ، أبو بكر الطائى ، أدب أولاد المشايخ بنيسابور[٦٥]

ومن مـؤدبى الأحيـاء والأسـر :

- أبو عمرو الشيبانى م/٢٠٦هـ ، أدب في احياء بنى شيبان[٦٦]
- أبو عبيد القاسم بن سلام م/٢٢٤هـ كان مؤدبا لأولاد الهرثمة[٦٧]
- أحمد بن حسن سيد الجراوى م/ بعد ٦٥٠هـ بيسير ، أدب في مراكش بنى عبد المؤمن[٦٨]
- الحسن بن المظفر النيسابورى م/٤٤٢ كان مؤدب أهل خوارزم في عصره ومخرجهم[٦٩]
- الزجاج كان مؤدب بنى مازمة[٧٠]

ومن مـؤدبـــات النـــساء :

ـ حفصة الركونى ، أستاذة ومعلمة للنساء في دار المنصور .
ـ مريم بنت يعقوب الأنصارى بأشبيلية ، كانت معلمة الأدب للنساء .
ـ العجفاء المغنية ، كانت تعلم جوارى الأمراء صنعة الغناء[٧١]

والواقع أن كثيرا من مؤرخى التراجم أوردوا أخبارا ثرة عن عشرات بل عن مئات من النساء العالمات المعلمات في كافة فنون الأدب والدين والعلم والفن ، ولكن قليلا ما سجلوا عنهن صفة التأديب الذى يعنى التدريس الخصوصى نظير أجر معلوم .

التـــأديـب كصنـــعة :

التأديب بهذا المفهوم الذى قدمناه كان مهنة راقية لها أصول وقواعد يجيدها نفر من المتخصصين الذين يعدون أنفسهم لها ، ويتملكون ملكات وقدرات وصفات ترشحهم لممارستها . وقد عبر عنها الأقدمون « بالصنعة » . وهذه اللفظة وإن كانت تدل في عصرنا على مفهوم « الحرفة » التى تشير إلى عمل يدوى أو خدمى لا يـرتقى إلى مستوى المهنـة ، إلا أنها كانت مـرادفة في هـذا المجـال لكلمـة « المهنة » حيث تمتعت بأكثر معايير المهنة والتى تتمايز بها عن الحرفة أو العمل المبتذل البسيط .

فالتأديب كمهنة كان يتطلب مستوى عاليا من المعرفة العامة والمتخصصة ، النظرية والفنية أحيانا ما كان يتجاوز مستوى التعليم الجامعى في عصرنا . وكان له أساتذته المؤهلون الذين يدرسون نظريات التربية وتطبيقاتها والتى تتطلبها صنعة التـأديب ، فأحمـد بن محمد بن مـالك السهـلى م/٣٣٤هـ كان يـدرس لمؤدبى نيسابور ، ويخرجهم في هذه الصنعة ليكونـوا صالحـين لممارستهـا[٧٢] والحسن ابن مهرجان كان ـ كما يقول ياقـوت ـ « من أعرف المؤدبـين بأسـرار التأديب والتدريس ، وأعلمهم بطرق التدريج إلى التخريج »[٧٣] هذه الأسرار وهـذه الطرق من أهم صفات أو معايير المهنة الراقية التى تحتكر جملة من الاسرار المعرفية Connaissances Esoteriques لا يعرفها غـير أهلها ، وتمنحهم قـوة مهنية بـين

الناس الذين يذهبون إليهم للانتفاع بخبراتهم وكفاءاتهم نظير الأجر الذى يقدمونه لهم .

وكان التأديب كمهنة يتفرغ لها كثير من العلماء المدرسين ، ويحصلون فيها على دخل أدبى ومادى كبير . وقد عبر المؤرخون في تراجم بعض هؤلاء المؤدبين بأنهم « لزموا التأديب أو تعاطوه »[٧٤] وهكذا كان التأديب مهنة احتراف دائم ، ولا يتركها صاحبها إلا لترقية في مركز وظيفى أكثر جاذبية وإثراء . ونادرا ما كان يهجرها المؤدب كما فعل ابن علوية والذى « رفض - كما يقول ياقوت - صناعة التأديب وكان يتعاطاها »[٧٥] . كما رفضها أصلا نفر من العلماء الزهاد الذين كرهوا أن يكون العلم للخاصة دون العامة من الناس . من هؤلاء الإمام مالك الذى رفض أن يحمل كتابه الموطأ ويدرسه لأولاد الرشيد في قصره ، ومنهم كذلك أبو سليمان الغرناطى السعدى م/٥٧٣هـ بقرطبه ، فقد « انتقل من غرناطة إلى باغة من أجل أن السلطان دعاه لإقراء بنيه ، فقال : والله لا أهنت العلم ولا مشيت به إلى الديار »[٧٦] .

ولم يكن المؤدب يعمل بمهنة التأديب إلا بعد تخرجه بكفاءة ، ملما بمادته العلمية ، مزودا بطرق التدريس الفنية ، مجازا من شيخه بذلك ، أو معترفا من قبله بأهليته التربوية لممارسة ذلك العمل الخاص ، أو مشفوعا بسمعته الطيبة ، وخبرته وعلومه المتميزة .

قواعد الاختيار لمهنة التأديب :

وعلى العموم فقد كانت هناك قواعد مقررة أو معروفة روعيت في اختيار أفضل العلماء للعمل كمؤدبين لأبناء الصفوة وبالذات عند الخلفاء والسلاطين والأمراء منها :

١ - لياقة المظهر :

فالمؤدب لابد أن يكون سليم الحواس ، مهذب الشكل ، مقبول المظهر ، لأنه يدرس بكل شخصيته وجماع ذاته ويؤثر بعلمه كما يؤثر بسلوكه ومظهره ، وقد روى عن الجاحظ أنه قال : « ذكرت للمتوكل لتأديب بعض ولده ، فلما رآنى

استبشع منظرى ، فأمر لى بعشرة آلاف درهم وصرفنى »[٧٧] ، وهكذا رفض الجاحظ كمؤدب برغم ما كان يتمتع به من سعة علم وأدب وثقافة . فلقد كان قبيح الصورة جدا حتى قال فيه الشاعر :

لـو يمسخ الخنـزير مسخـا ثانيـا ما كـان إلا دون قبـح الجـاحظ

٢ ـ الخبرة السابقة :

فالمدرسون الذين عملوا سابقا بالتدريس ، وكانت لهم شهرة في هذا العمل التعليمى ، غالبا ما كانوا يفضلون على غيرهم من الجدد أو المبتدئين في المهنة أو المغمورين فيها . فالخراز كان معلما له نجاح في عمله واشتغل بالتأديب في بعض البيوت قبل أن يصل إلى مستوى المؤدبين الكبار[٧٨] ومثله عبـد الحميد ابن يحيى الذى كان أول أمره معلم صبيه يتنقل في البلدان ، وابن أبى طاهر الذى أصبح من أشهر الاساتذة المؤدبين .[٧٩]

٣ ـ وساطة أو تزكية مؤدب كبير معروف :

وهذه الوساطة أو التزكية تعتبر كشهادة حية موضوعية تصدر من خبير بصنعة التأديب ويتحمل مسئولية تقديمها ، وتبعة وساطته ، ومن ثم كانت تقبل دون منازع . فالمبرد كان أستاذا للزجاج وقد علمه النحو نظير أجر معلوم ، ورشح تلميذه لتدريس النحو لأولاد بنى مازمة في الصراة ، ثم زكاه عند الوزير عبيد الله بن سليمان الذى استنزل بنى مازمة عنه لكى يؤدب ابنه القاسم .[٨٠]

٤ ـ إنتاج علمى ذو تقدير :

فى أحيان كثيرة تكون مصنفات العالم وسيلة مهمة في التقدير والاختيار للقيام بتدريسها بشكل خاص . وهكذا يكون المؤدب أعلم الناس بتدريس مؤلفـاته وما تخصص وأنتج فيه .

ومن هؤلاء المؤدبين الذى اشتهروا بمصنفاتهم وقاموا بتدريسها لأبناء الخاصة :

ـ أبو الحسن الأصفهانى الكسروى ، وعيسى بن المعلى بن مسلمـة الرافقى ،

وعبد الله بن محمد بن سفيان الخراز وابن الجراح والسميساطى ، وغيرهم كثيرون[٨١]

٥ ـ المرور بنجاح في اختبار خاص :

كان بعض الخلفاء ـ وهم من كبار العلماء ـ يعقدون اختبارات صلاحية للمؤدبين الذين يستخدمونهم لتأديب أولادهم ، فإذا وثقوا في كفاءتهم وتأكدوا من علمهم عهدوا إليهم بالتأديب وأجزلوا لهم العطاء .

فالخليفة المهدى استقدم الكسائى من الكوفة واستخدمه في تأديب ولده هارون بعد أن أجاب على سؤال الخليفة والخاص بإتيان فعل الأمر لعملية السواك ، فقال : « سك يا أمير المؤمنين » وليس كما قال المؤدب السابق « استك » . وهكذا حل الكسائى محله في التأديب . لأنه دل بجوابه على أنه أفهم من زميله وأحق بوظيفته .[٨٢]

والمؤدب محمد بن هبة الله الوراق كان ضريرا نحويا وكان شيخ العربية ببغداد ، استدعاه الخليفة القائم بأمر الله لتعليم أولاده ، ولما دخل عليه لم يقبل الأرض بين يديه كعادة القادمين على الخليفة ، إذ كان معتزا بنفسه واثقا من كفاءته ، وجلس أمام الخليفة الذى وجه إليه بعض الأسئلة النحوية والعروضية ، فأجاب عنها كلها بصحة تامة حتى قال عنه الخليفة « هذا هو البحر »[٨٣]

٦ ـ التفوق على الأقران :

قد يظهر في الزمن الواحد وفي المكان الواحد عدد من العلماء المميزين ، وتكون حيرة الكبراء في اختيار واحد منهم للتأديب ، ولهذا فإنهم يلجأون إلى وسائل عملية تميز أفضلهم : من هذه الوسائل مجالس المناظرات وحلقات التدريس ، ومشاهدة العلماء في مواقع عملهم وفي أوساطهم العلمية والثقافية ، والوقوع على من يتصدر الزملاء ويثبت تفوقه عليهم . فابن العريف النحوى لم يختره المنصور محمد بن أبى عامر صاحب الأندلس مؤدبا لأولاده إلا بعد أن حضر عددا من المجالس والمناظرات لابن العريف مع صاعد اللغوى البغدادى وبذه

فيها[٨٤]

والخليفة المتوكل لما أراد اتخاذ مؤدبين لولديه المنتصر والمعتز ، جعل ذلك إلى إتياخ ، فأمر إتياخ كاتبه أن يتولى ذلك ، فجمع الطوال والأحمر وابن قادم واحمد بن عبيد وغيرهم فى مجلس تناظروا فيه ، فاختار ابن عبيد وابن قادم لتفوقهما فى هذا المجلس .[٨٥].

٧ ـ الاختيار مع المراقبة والإشراف :

أحيانا كان يطلب أولو الامر من كبار العلماء مهمة اختيار من يثقون في صلاحيتهم من المؤدبين على أن يقوموا بالإشراف على عملهم . ومثال ذلك ما اضطلع به أبو سعيد الضرير اللغوى البغدادى صاحب كتاب المجمل ، فقد كان « يختار المؤدبين لأولاد قواد عبد الله بن طاهر ، ويبين مقدار أرزاقهم ، ويطوف عليهم ، ويتعهد من بين أيديهم من أولئك الصبيان » وكان يستبدل بهم غيرهم إذا اثبتوا جهلهم أو عجزهم .[٨٦]

أشكال وطرائق التأديب :

لم يكن التأديب مهنة تمارس « على المكشوف » ، كما كان الحال في مهنة التعليم التى مارسها العلماء في المساجد أو المدارس ، فقد كان من هؤلاء كثيرون يقومون بالتدريس العام لجماهير المتحلقين في الجوامع والمساجد ، وكان تدريسهم مفتوحا يحضره كل راغب في التعلم والإفادة برغبته الحرة ، وبقدر ما يسمح به وقته وعمله ، وهؤلاء المتحلقون هم الذين كونوا « الطلاب العرضيين » وتعلمهم كان يعد من قبيل التعلم الحر ، أو التثقف العام . كما كان هناك علماء درسوا سواء فى المساجد أو في المدارس لنوعية أخرى من زبائن التعليم ، وهم الذين كونوا « الطلاب النظاميين » الذين ارتبطوا بأستاذ خاص ، ودأبوا في تعلم مادة معينة تخصص فيها ، وحرصوا على بلوغ المستوى العلمى المطلوب الذى يسمح لهم بالإجازة فيها ، وكانوا يختارون من عناصر ممتازة جادة راغبة في التعليم الراقي ، ومؤهلة له ، ويصطفيهم أساتذتهم ، ويتفرغون للتعليم ، مستفيدين (وبالذات العناصر الفقيرة منهم) مما كان يقدم

لهم من منح تعليمية ومساعدات أهلية عرفها نظام الوقف التعليمى والإحسانات الخيرية لطلبة العلم .[٨٧]

وهؤلاء المدرسون كانوا في موضع النقد التربوى ، يشاد بهم إن أحسنوا في عملهم ، ويعرض بهم إن أساءوا أو قصروا ، ويحضر عندهم بجانب طلبتهم - مثقفون ومتخصصون مثلهم - ويلاحظونهم ملاحظة علمية ناقدة ، ولا يسمح لهم بالتدريس النظامى إلا بعد المرور باختبار صلاحية عام يكشف عن قدراتهم العلمية والتربوية في دروسهم ، ولهم منافسون يعارضونهم ، ويغالبونهم ، ولذلك فكل عملهم كان معروضا على الناس ، حسناتهم وسيئاتهم ، ولهم وضعت كتب في آداب المعلمين ، وكانوا في موضع الرقابة العامة من قبل الناس والرقابة الخاصة من قبل المحتسبين الذين يراقبونهم في عملهم في « الوفور والتقصير »[٨٨]

وهكذا عرفنا كثيرا عن هذه الطائفة من المعلمين الأفاضل الذين مثلوا غالبية العلماء الذين درسوا في الجوامع والمدارس ، كما عرفنا الكثير عن معلمى المكاتب الذين درسوا لأولاد العامة . أما الطائفة الأخرى من المعلمين الكبار الذين درسوا لأولاد الخاصة والملوك والذين عرفناهم باسم المؤدبين[٨٩] فقد جهلنا الكثير عن عملهم وطرائق ممارسته . ولقد كانوا يعلمون هؤلاء الأولاد في بيوتهم ، والتعليم يتم وجها لوجه ، وفي مكان معزول أو مستور لا يكشفه الآخرون ، ولم يقدم لنا واحد منهم وصفا لكيفية تعليمه ، ولم يخرج نقد يعرف بنوع تعليمهم ويقومه . ومع ذلك فإننا نستطيع أن نتبين بعض الخصائص العامة لهذا التأديب وطرائق ممارسته تبعا لما قدمته لنا كتب التراث من طرائف وأخبار منثورة قليلة عن هذا التأديب .

١ - التأديب بحسب التخصص في المادة :

كان أكثر المؤدبين علماء متخصصين في مواد اشتهروا بها وألفوا فيها ، وبذوا غيرهم في موضوعاتها ، وأطلق عليهم « علماء » في هذه المواد . وتبعا لنص الفارابى ، فإنه لم يكن يسمى العالم في علم ما عالما بذلك العلم إلا إذا توافرت فيه شروط أربعة : -

ـ أحدها أن يكون قد أحاط معرفة بأصول ذلك العلم على الكمال ،
ـ وثانيها أن تكون له قدرة على العبارة عن ذلك العلم ،
ـ وثالثها أن يكون عارفا بما يلزم عنه ،
ـ ورابعها أن تكون له قدرة على دفع الإشكالات الواردة على ذلك العلم[٩٠]

وهكذا وجدنا مؤدبين اقتصروا في تأديبهم على مواد تخصصوا فيها وأجادوها وكانوا علماء مبرزين فيها . وقد يكون تخصصهم وتأديبهم في مادة واحدة كالنحو ، وقد أدب به الملطى م/٣٣٠هـ وكان إمام جامع عمرو بن العاص بمصر ، وكان يعلم أولاد الملوك النحو[٩١] ومثله الزجاج . وفي الأندلس عبد الواحد بن سلام الأحدب بقرطبة م/٢٠٩هـ ، وأحمد بن محمد بن هاشم ابن خلف المعروف بالأعرج ، وسعيد بن عيشون[٩٢]

كما وجدنا مؤدبين أدبوا في الحساب مثل المسرى م/٣٧٣هـ في قرطبة ، ومكى ابن أبي طالب حموش بن محمد م/٤٣٧هـ بقرطبة[٩٣] . وكان هناك مؤدبون بالعربية مثل بجنين م/٣٣٤هـ أدب بها في قرطبة ، وأبو البركات بن السيني م/١٤هـ أدب أولاد الخلفاء في مادة الأدب .[٩٤]

وقد كان هناك مؤدبون درسوا مادتين كالعربية والحساب ، وقد أدب بهما دهرا أحمد بن محمد بن صامت م/ بعد ٥٩٠هـ ، ومحمد بن إسماعيل المعروف بالحكيم م/٣٣١هـ ، وأبو بكر الزبيدى م/٣٧٩هـ بأشبيلية[٩٥] ، أو كالفرائض والحساب ، وأدب بهما حباب بن عبادة القرطبى .[٩٦]

كما وجد مؤدبون توسعوا في تخصصاتهم وأدبوا في فروع علمية كثيرة . من هؤلاء الضبى والكسائى وابن السكيت والكلاعى ، فقد أدبوا بالنحو والشعر واللغة والأدب .

٢ ـ التأديب بحسب الرغبة الشخصية لولى الأمر :

إن تخصص المؤدب في مادة يقصر تأديبه عليها ، لا يعنى أنه كان جاهلا أو غير عالم بالمواد الأخرى وبالذات تلك المواد التى تنتسب إلى مجال علمى متميز خاص بالعلوم اللغوية أو الدينية أو الفلسفية . فقد كان أكثر المؤدبين موسوعيين

ويضعون أنفسهم تحت رغبة أولى الأمر فيدرسون ما يطلب منهم ، ويلتزمون بما يوصونهم به ولا سيما فيما يتعلق بالقيم والاتجاهات التربوية التى ينبغى أن يراعيها المؤدبون في تطبيع سلوك تلامذتهم .

- قال عبد الملك لمؤدب أولاده : إسماعيل بن عبد الله بن أبى المهاجر :

« علمهم الصدق كما تعلمهم القرآن ، وجنبهم السفلة فإنهم أسوأ الناس رغبة في الخير وأقلهم أدبا ، وجنبهم الحشم فإنهم لهم مفسدة ، واحف شعورهم تغلظ رقابهم ، وأطعمهم اللحم يقووا وعلمهم الشعر يمجدوا وينجدوا ، ومرهم أن يستاكوا عرضا ويمصوا الماء مصاولا يعبوا عبا ، وإذا احتجت أن تتناولهم بأدب فليكن ذلك في سر لا يعلم بهم أحد من الغاشية فيهونوا عليهم »[٩٧]

- وقال الحجاج لمعلم ولده :

« علم ولدى السباحة قبل الكتابة فإنهم يصيبون من يكتب عنهم ولا يصيبون من يسبح عنهم »[٩٨]

- ومن تعليمات الخليفة عمر بن عبد العزيز لمؤدب أولاده :

« ليكن أول درس تلقيه عليهم هو تبغيضهم إلى الملاهى ، لأنها تبدأ من الشيطان وتنتهى بغضب الله »[٩٩]

- وأوصى عمر بن عتبة مؤدب أولاده ، فقال :

« ليكن أول إصلاحك لولدى إصلاحك لنفسك ، فإن عيونهم معقودة بعينك فالحسن عندهم ما صنعت ، والقبح عندهم ما تركت ، علمهم كتاب الله ولا تملهم فيه فيكرهوه ، ولا تتركهم فيه فيهجروه ، روهم من الحديث أشرفه ومن الشعر أعفه ، ولا تنقلهم من علم إلى آخر حتى يحكموه ، فإن ازدحام الكلام في القلب مضلة للفهم ، وعلمهم سنن الحكماء ، وجنبهم محادثة النساء ، ولا تتكل على عذر منى لك ، فقد اتكلت على كفاية منك » . وتتفق هذه الوصية مع وصية الرشيد للعالم اللغوى محمد بن الأحمر مؤدب ولده الأمين .[١٠٠]

- وأوصى العباس بن أحمد (من أسرة خلفاء بنى العباس) مؤدب بنيه فقال :

« إنى قد كفيتك أعراضهم فاكفنى آدابهم ، علمهم كتاب الله عز وجل فإنه عليهم نزل ، ومن عندهم فصل ، فإنه كفى بالمرء جهلا أن يجهل فضلا عند غيره . فقههم في الحلال والحرام فإنه يمنعهم أن يظلموا ، وغذهم بالحكمة فإنها ربيع القلوب . والتمسنى عند آثارك تجدنى »[١٠١]

وقد يستأنس المؤدب برأى تلميذه ، ويتحسس رغبته في المواد التى يحب تعلمها ، فابن السكيت لما أحضره المتوكل لتأديب ابنه المعتز ، سأل تلميذه في أول درس : يا بنى بأى شيء يحب الأمير (أى المعتز) أن يبتدىء من العلوم ؟ « قال : بالانصراف . قال ابن السكيت فأقوم . قال المعتز : انا أخف نهوضا منك[١٠٢] وهكذا ظهرت كراهية المعتز للتعلم على يد العالم النحوى ابن السكيت ، وصرفه .

وكان المؤدب يوضع أحيانا تحت المراقبة من قبل الآباء للتأكد من تمام نهوضه بالتزاماته العلمية والأخلاقية . فالخليفة المهدى كان يتابع بنفسه تقدم ولده موسى حيث كان يؤدبه الكسائى . والخليفة المأمون كان يأمر برفع الألواح والأوراق الخاصة بأولاده كل خميس ليراها ويتابع تقدمهم في التعليم . وهكذا فعل الخليفتان المكتفي والمعتز .[١٠٣]

وقد توكل مهمة الرقابة إلى بعض ذوى الخبرة أو الذين يملكون الوقت المناسب للاشراف . فالخليفة الرشيد أناط بالكسائى مراجعة دروس أولاده وكان مؤدبهم الأحمر[١٠٤] وأبو سعيد الضرير كان يقوم بهذه الرقابة لحساب قواد عبد الله ابن طاهر على النحو الذى أشرنا إليه من قبل .[١٠٥]

وقد يتشكك بعض أولى الامر في صحة ما يدرسه المؤدبون ، فيعرضون مادتهم على أولى العلم ليقولوا رأيهم فيها . يروى أن أبا عمر الزاهد (غلام ثعلب) م/٣٤٥هـ كان يؤدب ولد القاضى أبى عمر محمد بن يوسف ويملى عليه مسائل كثيرة في اللغة مع ذكر غريبها وشواهدها ، فكان المتعلم وأبوه يعرضان هذه المسائل على أئمة اللغة مثل ابن دريد وابن الأنبارى ليحكموا على مدى صحتها . وقد دخل ذات مرة غلام ثعلب في منافسة حامية ضد هؤلاء الأئمة ورجعوا إلى المصادر الموثوق فيها وانتصر المؤدب .[١٠٦]

٣ ـ التأديب بحسب الطريقة الشخصية للمؤدب :

لا يظن مما تقدم إن المؤدبين كانوا تحت مستوى الكفاءة ، أو في موضع الشبهة والريبة أو محل شك في إمانتهم المهنية وسلوكهم الأخلاقى . لقد كانوا من فطاحل العلماء وكبار الشيوخ ولم يعملوا بالتأديب إلا لحسن سمعتهم وعظم شخصيتهم . . ولهذا كانوا في معظمهم أساتذة متفردين بعلمهم وعملهم ، ولهم حرية الممارسة الفنية في تعليم تلامذتهم ، وفي إطار الاتفاق الخاص المبرم شفويا أو كتابيا بينه وبين مستخدميهم .

كانوا يتبعون طرائق مختلفة تتناسب مع طبيعة المادة التى يدرسونها ، وقدرات الطالب الذى يعلمونه ، ونوعية المواقف التعليمية التى يوجدون فيها ، فاستخدموا طريقة المحاضرة ، وطريقة القراءة والشرح ، وطريقة الإملاء ، وطريقة السؤال والجواب ، وطريقة المناظرة والمناقشة . . وكانت لهم أساليبهم المنطقية في تقسيم أبواب المنهج أو المقرر ، وعرض المادة وتسلسلها ، والتدرج من البسيط إلى الصعب المركب ، ومن المحسوس إلى المجرد ، ومن الأولى العام إلى التحليل الدقيق .(١٠٧)

كان من المؤدبين أصحاب مدارس بيداجوجية وعلمية ، وأثروا بكفاءتهم وأسلوبهم في المحيط التربوى والثقافى . لقد كان الصبيان يخرجون من عند الطرماح ـ المؤدب بالرى ـ وكأنهم قد جالسوا العلماء لتفوقه وقدرته في تخريج تلامذته . ويحكى أن أبا البيان المؤدب دخل ذات يوم على معلم كتاب ينشغل بشرح درس في الأدب بطريقة تقليدية رديئة ساءته ، فأخذ الدرس منه ، وعلمه بطريقة تربوية ممتعة ومشوقه ، ومعبرة عن المعانى الأدبية ، وبأسلوب حى أثار التلاميذ ونشطهم ، وقال للمعلم في ختام درسه : « هكذا يكون تعليم الأدب »(١٠٨)

أجـــــور المؤدبين :

كان المؤدبون ـ شأنهم شأن كل المهنيين المحترفين ـ يعلمون نظير الأجر . منهم من كان يتعيش من دخل هذه المهنة ويكتفى بها نظرا لما تدره من خير

وفير[١٠٩] ومنهم من أضاف إليها العمل بالمدارس أو المساجد دون أن يخل بمهمة التأديب الخاص ، فلكل عمل وقته . فابن دحية م/٦٣٣هـ ، كان يؤدب الملك الكامل بمصر في الوقت الذى يدرس فيه بمدرسة الحديث الكاملية[١١٠] وأبو طالب الكرخى م/٥٨٥هـ كان مدرسا بالنظامية في بغداد ، ومؤدب أولاد الناصر لدين الله[١١١] وابن الجواليقى مؤدب أولاد الخلفاء ، كانت له حلقة بجامع القصر فى بغداد يقرىء فيها الأدب كل جمعة[١١٢] ، وسلاطين الترك اختاروا مؤدبيهم من بين أساتذة مدارسهم ولم يحرموهم من العمل بها مع الوفاء بمطالب تأديبهم .[١١٣]

ولم يكن يعيب المؤدبين أن يجمعوا بين الأعمال التعليمية ، وأن يأخذوا أجرا عن تأديبهم ، فهم ليسوا بالزاهدين أو الواعظين وغيرهم من الدينيين الذين كرهوا أن يأخذوا أجرا عن واجب دينى ، على عادة السلف الأول من العلماء الصالحين . . لقد كان المؤدبون مدفوعين في عملهم بدوافع مادية ، ومغريات دنيوية ، ولم يحط ذلك من شأنهم . حاول ذات مرة أبو العيناء ، حسدا منه على إبراهيم بن سعدان الشيبانى مؤدب المؤيد ابن الخليفة المتوكل ، أن يقلل من قيمته في نظر الخليفة ، مشيرا إلى صفته كمعلم مأجور . ولكن الخليفة يجيبه بأنه « مؤدب المؤيد » وهذا يكفى لبيان رفعة قدره ، ولكن أبا العيناء يستأنف حملته قائلا : « يا أمير المؤمنين . . إنه لم يؤدبه حسبة ، وإنما أدبه بأجرة » . ولم تؤثر حملته فى النيل من شرف هذا المؤدب الكبير[١١٤]

لكن ماذا كان أجر المؤدب ؟ ؟

يرى بعض الباحثين أن متوسط مرتب المؤدب كان ألف درهم في الشهر . ويستنتج الدكتور أحمد شلبى ذلك مما روى عن أجر ابن السكيت مؤدب ولد محمد بن عبد الله بن طاهر[١١٥] ولكن ذلك استنتاج خاطىء أو مشكوك فيه ولا يصلح كمعيار موضوعى يحدد المتوسط الفعلى لدخل المؤدبين . والواقع ان هذا المؤدب تبعا لرواية ياقوت الرومى هو المسمى أحمد بن حيى بن ثعلب ، كان يتقاضى عن تأديبه لأولاد ابن طاهر السالف الذكر ألف درهم شهريا ، بالإضافة إلى الدار التى حصل عليها وكانت مزينة مؤثثة وبالإضافة كذلك إلى الطعام (من

خبز ولحم) والذى كان يأتيه من بيت ابن طاهر يوميا .[١١٦]

لقد اختلفت الأجور من عصر إلى عصر ، ومن مؤدب لمؤدب ، ومن مانح لآخر ، كما تنوع الأجر ؛ فكان منه نقد مالى محدد القيمة يدفع شهريا أو في نهاية التأديب ، ويتفق عليه مقدما ، كما كانت منه مكافآت غير محددة ، مالية وعينية ، ونورد فيما يلى أمثلة حقيقية تعبر عن هذا التفاوت في الأجور واختلاف نوعياتها : -

- فهشام بن معاوية الضرير كان يؤدب ولد الرخجى ، ويجرى عليه في كل شهر عشرة دنانير .[١١٧]

- وأبو جعفر الضبى ، مؤدب ابن المعتز ، تلقى من والده عشرة آلاف درهم مكافأة له عن حسن تأديبه .[١١٨]

- والزبير بن بكار ، استخدمه الأمير محمد بن عبد الله بن طاهر مؤدبا لولده ، وأمر له بعشر آلاف درهم ، وعشرة تخوت ثياب ، وعشرة أبغل يحمل عليها رحله إلى حضرة سرمن رأى .[١١٩]

- وكان من عادة خلفاء بنى العباس إذا أدخلوا مؤدبا إلى أولادهم فجلس أول يوم أمروا بعد قيامه بحمل كل ما فى المجلس إلى منزله مما يوصل به ويوهب له » . وحدث أن الأحمر ، مؤدب أولاد الرشيد ، بعد أن أمر بأخذ الفرش ، وكان كثيرا ، تعلل » بأن داره لا تقبل هذا الفرش ، ، فأمر الرشيد بشراء دار (جديدة وكبيرة له) وجارية » لخدمته[١٢٠]

هذه الدخول الكبيرة لا تقارن بما كان يحصل عليه معلمو المكاتب حيث لم يزد دخلهم في صقلية تبعا لرواية ابن حوقل عن عشرة دنانير في العام . بل ربما كان من هؤلاء المعلمين من يرتفع مستوى كفاءته العلمية ، وبرغم ذلك لم يحصل إلا على أجر حقير . يقول ابن عتاب : « يكون الرجل نحويا عروضيا حسن الكتاب جيد الحساب حافظا للقرآن رواية للشعر وهو راض بأن يعلم أولادنا بستين درهما »[١٢١]

بل وإذا قارنا المؤدبين بمعلمى المدارس وهم أرفع مستوى وأرقى حالا من معلمى المكاتب نجد أن دخول المؤدبين أكبر بكثير من مرتبات المدرسين ،

فمدرسو المستنصرية كان يتقاضى الواحد منهم اثنى عشر دينارا فى الشهر[١٢٢] وهؤلاء كانوا من المدرسين المتميزين . ومثلهم كان زملاؤهم من المدرسين في المدارس الملوكية في مصر ، فالشيخ مجد الدين محمد بن الجبتى قرره صلاح الدين الأيوبى في مدرسته السيوفية وجعل مرتبه أحد عشر دينارا في الشهر[١٢٣] بل إن كثيرا من مدرسى الجوامع في مصر تناولوا أرزاقهم من فروض الزكاة ولم تكن ثابتة أو محددة ، وإنما تغيرت تبعا للأحوال ، ويعبر المقرى عن ذلك بقوله : « أخبرت أن اقتضاء ذلك (أى الأجر) يصعب إلا بالجاه والتعب »[١٢٤] . ومع ذلك فإن هناك أفرادا ممتازين من المدرسين الذين عملوا بكبريات المدارس العثمانية ، وكان يختار منهم المؤدبون للسلاطين ، ولهذا فإن مرتباتهم كانت عالية للغاية . فالمولى علاء الدين على الطوسى ، علامة زمانة ، عينه السلطان مراد خان في إحدى المدارس الثمانية المميزة بالقسطنطينية وجعل له في كل يوم مائة درهم[١٢٥] وكانت مرتبات المدرسين العثمانيين تبدأ في الغالب بخمسة عشر درهما وتزيد في الخدمة حتى تصل أحيانا إلى اكثر من مائة درهم في اليوم[١٢٦]

وعلى العموم ، فقد كان المؤدبون ميسورى الحال ، مرفهى العيش ، وقد ترك بعضهم ثروات طائلة ، فابن السينى مؤدب الخلفاء ، « خلف من المال ما حزر بمائة ألف دينار »[١٢٧] وكسب الزجاج من صنعة التأديب ثروة قدرت بعشرين ألف دينار . وأحمد بن يحيى ثعلب م/٢٩١هـ خلف من جراء تأديبه ثروة ضخمة[١٢٨] .

التأديب قنطرة مرور إلى الوظائف العليا :

ومع ذلك فإن كثيرا من المؤدبين لم يقبلوا صنعة التأديب لما تدره من دخل مادى كبير في شكل أجور أو مرتبات أو مكافآت ، ولكن أقبلوا عليها كمحط انتظار يمر به قطار الحظ لينقلهم إلى وظائف عليا مرموقة . فالتأديب كان قنطرة يعبر عليها المؤدبون إلى مراكز محترمة فى الدولة ، فهم يؤدبون أولاد الخلفاء والسلاطين والملوك والوزراء ويتقربون منهم ، ويعرفون لديهم بما يملكون من كفاءات وصفات ترشحهم للمناصب العليا ، ويصبحون أهلا للثقة ومحلا للتقدير .

ـ فإسماعيل بن أبى المهاجر المخزومى المؤدب ولاه عمر بن عبد العزيز على شمال

إفريقيا ، كما عين الخليفة المعتز مؤدب ولده قاضيا ، وعين الخليفة المقتدر مؤدبه السابق في وظيفة محتسب بغداد ، ثم في وظيفة قاض .[١٢٩]

- وأبو عبيد القاسم بن سلام م/٢٢٤هـ خرج من تأديبه لأولاد الهرائمة بوظيفة قاض بطرسوس .[١٣٠]

- والكسائى الذى جمع من تأديبه ثروة طائلة ، أخرجه الرشيد من طبقة المؤدبين إلى طبقة الجلساء والمؤانسين ، وأعلى بذلك من قدره[١٣١]

- وأبو بكر الزبيدى م/٣٧٨هـ مؤدب هشام بن عبد الحكم صاحب الأندلس تولى قضاء إشبيلية وخطة الشرطة مكافأة له « وحصل نعمة ضخمة لبسها بنوه من بعده زمانا »[١٣٢]

- وأبو محمد . . ابن الأصبحى الظفارى م/٦٧٥هـ ، علم أدريس الحيوصى ، فلما صار الملك إليه استوزره[١٣٣]

مع النعم نقم :

ومع هذه النعم كان يتعرض المؤدبون أحيانا لشر النقم ، وحصل لبعضهم كوارث فظيعة أحاقت بهم من جراء تأديبهم .

- فابن السكيت الذى كان مؤدبا لولدى الخليفة المتوكل ، طلب منه ذات يوم أن يقارن بينهما وبين الحسن والحسين ، ولدى أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، ولم يتحرز ابن السكيت من تفضيل هذين على ولدى المتوكل ، فأمر فسل لسانه ومات .[١٣٤]

- وابن قادم ، مؤدب المعتز قبل توليه الخلافة ، لم يكن على وفاق مع المعتز في تأديبه ، فكره طريقته وحقد عليه ، فلما ولى الخلافة بعث إليه ، فخشى ابن قادم من بادرته ، فودع عياله وقال لهم : عليكم السلام ، وخرج فلم يرجع إليهم واختفى في سنة ٢٥١هـ .[١٣٥]

لم اختفى التأديب :

ظل التأديب صنعة تعليمية يمارسها كبار العلماء في تدريسهم لأولاد الكبراء والخاصة بشكل فردى في بيوتهم . وقد ظهر كما رأينا منذ عصر مبكر في عهد

الخلافة الأموية ، واستمر طوال عصور متعاقبة يقوم بمهماته التربوية والتأديبية والتثقيفية على نحو جعل منه ضرورة حيوية في تخريج صفوة متميزة في المجتمع الإسلامى . لقد ظل سلاطين الدولة العثمانية ، وسلاطين اليمن ، وأسر السلطات الحاكمة في الدول الإسلامية يستخدمون المؤدبين في تعليم أولادهم حتى عهد قريب .

ومع ذلك كان هناك من الفلاسفة والعلماء المفكرين أفراد كرهوا هذا اللون المتمايز من التعليم الفردى الخاص وطالبوا بالتعليم العام في وسط اجتماعى متفاعل ومفتوح . يقول ابن سينا في عبارة موجزة لكنها دالة : « يجب ألا ينفرد المؤدب الواحد بصبى واحد لأن ذلك يحملهما كليهما على الضجر . ثم إن وجود أولاد كثار مع المؤدب أدعى إلى منافستهم فى الخلال الحميدة ، وإلى انشراح عقولهم بما يتحدثون فتتهذب أخلاقهم وتتحرك هممهم » . . ثم يفصل ذلك فيقول : « يتحادث الصبيان والمحادثة تفيد انشراح العقول وتحل منعقد الفهم ، لأن كل واحد من أولئك إنما يتحدث بأعذب ما رأى وأغرب ما سمع فتكون غرابة الحديث سببا للتعجب ، والتعجب منه سببا لحفظه ، وداعيا إلى التحدث به . ثم إنهم يترافقون ويتعارضون . . ويتعاوضون الحقوق . وكل ذلك من أسباب المباراة والمباهاة والمساجلة والمحاكاة . وفي ذلك تهذيب لأخلاقهم وتحريك لهممهم وتمرين لعاداتهم »[١٣٦] .

وإذا كان ما قاله ابن سينا صحيحا تربويا ، فمن الحق أن نقول بأن التأديب لم يكن تعليما بديلا أو موازيا أو منافسا للتعليم العام ، بل كان تربية خاصة تشبع حاجات وتلبى مطالب قلة من أبناء الأسر الأرستقراطية التى احتفظت بمراكزها وثقافتها وقيمها الخاصة في المجتمع . ولهذا فإنه مع تبدل النظم التى جاء بها المجتمع الحديث بدأ التأديب ـ كتعليم خاص ـ يفقد أهميته التى كانت له في الماضى .

فالتعليم العام أصبح ديمقراطيا ، وحقا لكل إنسان . وانتشرت المدارس على اختلافها وفي كل مستويات النظام التعليمى ، تقدم فرصا تربوية متنوعة ومتكررة وميسرة بحيث لا يحرم أحد في إطار التربية المستديمة من حق التعليم .

وخرجت البنات إلى المدارس والجامعات والمعاهد ، وظهرت صيغ وأشكال متجددة تلبى كل المطالب والحاجات . وحكمت نظم التعليم معايير وضوابط مقننة ، وشرعت من أجلها قوانين تعبر عن إرادة المجتمع في تعليم كل أبنائه تعليما يعمل للتجانس القومى ، والوحدة الثقافية ، والتلاحم الاجتماعى ، وتعزيز الكفاءات وترقية الحياة . وكان لانفجار المعارف وتقدم العلوم وازدهار الفنون واستحكام التكنولوجيا أن قامت مؤسسات ضخمة تساير عصر التربية الجديد ، وأصبح من المستحيل أن نرى في يومنا الحاضر مؤدبا يعرف كل شيء ويقوم وحده بتدريس كل شيء فانتهى زمانه وتحول إلى ظاهرة تاريخية عرفها الماضى الذى انتهى بكل حسناته وسيئاته .

المراجع والتعليقات الهامشية

١ ـ د . عبد الفتاح جلال ، **من الأصول التربوية في الإسلام** ، سرس الليان (مصر) المركز الدولى للتعليم الوظيفى للكبار في العالم العربى ، ١٩٧٧ ، ص ١٥ ـ ٢٤ .

٢ ـ **رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء** ، المجلد الأول ، القسم الرياضى ، بيروت ، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر ، ١٩٥٧ ، ص ٢٩٩ .

٣ ـ **رسائل الجاحظ** ، جمعها ونشرها حسن السندوبى ، القاهرة ، المكتبة التجارية الكبرى ط ـ أ ، ١٩٣٣ ، ص ٢٤٦ .

٤ ـ د . أحمد شلبى ، **التربية الإسلامية ، نظمها ـ فلسفتها ـ تاريخها** ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ط ـ ٦ ، ١٩٧٨ ، ص ٢١١ .

٥ ـ ابن الحاج ، **المدخل** ، ج ـ ٤ ، بيروت دار الكتاب العربى ، ط ـ ٢ ، ١٩٧٢ ، ص ص ٣١١ ـ ٣١٥ .

٦ ـ محمد أمين فضل الله المحبى ، **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادى عشر** ، بيروت ، مكتبة خياط (د . ت) ، ص ١٢ ، ١٣ ، ٣٤ ، ٧١ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٣٠١ ، ٣٦٧ .

وانظر ـ أغا بزرك الطهرانى ، **الذريعة إلى تصانيف الشيعة** ، ج ـ ٤ ، طهران ، مطبعة مجلس الشورى ، ١٣٦٠هـ ، ص ٦٣ .

(*) عبد الحى الكتانى ، **نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية** ، ج ـ٢ ، بيروت ، حسن جعفا (الناشر) ، ١٣٤٧هـ ، ص ٢٣٣ .

٧ ـ الغزالى ، **إحياء علوم الدين** ، ج ـ ٣ ، ص ٦٢ .

٨ ـ د . عبد الفتاح جلال ، **مرجع سابق** ، ص ٢٤ .

٩ ـ أبو على حمد بن محمد مسكويه ، تهذيب الأخلاق ، (تحقيق قسطنطين زريق) بيروت ، الجامعة الامريكية ، ١٩٦٦ ، ص ٥٦ .

١٠ ـ يسمى الماوردى مرحلة ما بعد الارضاع بمرحلة « التأديب والتعليم » ، انظر ـ **كتاب نصيحة الملوك** ، مخطوط للماوردى بالمكتبة الوطنية بباريس ، تحت رقم ٢٤٧٧ ، ورقة ٤٨ ـ وجه .

وانظر ـ محمد على الفاروقى التهاونى ، **كشاف اصطلاحات الفنون** ، القاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٣ ، ص ٧٩ ويجعل التأديب متعلقا بالمروءات (أى محاسن الأخلاق) والتعليم متعلقا بالشرعيات (ولا يمنع انسحابه على الأدبيات والطبيعيات . .) .

١١ ـ ذكر في كتاب التراجم أن أحمد بن محمد التونسى المدنى « كان يؤدب الصبيان ويثقفهم » وذكر أن أبا العباس ابن الرطبى المؤدب دخل في عام ٥١٩هـ « يعلم الأمراء بدار الخلافة ببغداد » .

انظر ـ ابن الجوزى ـ **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم** ، م ـ ٩ ، حيدرأباد الدكن ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، ط ـ ١ ، ١٣٥٧هـ ، ص ٢٥٤ .

وانظر كذلك ـ الفيروز أبادى ، **البلغة في تاريخ أئمة اللغة** ، (تحقيق محمد المصرى) ، دمشق ، وزارة الثقافة والإرشاد القومى ، ١٩٧٢ ، ص ٢٩ .

١٢ ـ أحمد بن عربشاه ، **كتاب فاكهة الخلفا ومفاكهة الظرفا** ، مخطوط بالمكتبة الوطنية بباريس ، تحت رقم ٣٥٤٣ ، ورقه ١ ـ وجه ويشتق هذا المعنى من قاموس « المصباح المنير » .

١٣ ـ الخطيب البغدادى ، **تاريخ بغداد أو مدينة السلام** ، م ـ ١ ، بيروت ، دار الكتاب العربى ، (د . ت) ، ص ٢٤٣ .

١٤ ـ المقدسى ، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم** ، ليدن ، مطبعة بريل ، ط ـ ٢ ، ١٩٠٦ ، ص ٣٦٩ .

وكان يشار إلى الحسن بن عرفة « بالشيخ المعلم » ، وأطلق المسلمون على أرسطو « المعلم الأول » وعلى الفارابى « المعلم الثانى » .

١٥ ـ الشوكانى ، **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع** ، ج ـ ١ ، القاهرة ، الناشر الشيخ معروف عبد الله باسندوه ، ١٣٤٨هـ ، ص ٣٧٤ .

١٦ ـ ياقوت ، **كتاب إرشاد الأديب إلى معرفة الاديب ، المعروف بمعجم الأدباء أو طبقات الأدباء** ، ج ـ ٤ (نسخ وتصحيح د . . س . مرجليوث) ، القاهرة ، المطبعة الهندية ، ط ـ ١ ، ١٩٢٧ ، ص ٢٨٠ .

١٧ ـ ابن الجزرى ، **غاية النهاية في طبقات القراء** ، ج ـ ١ ، بيروت دار الكتب العلمية ، ط ٢ ، ١٩٨٠ ، ص ١٨ .

١٨ ـ الفيروز أبادى ، مرجع سابق ، ص ٢٤٩ ويذكر في ص ص ٢٤٧ ـ ٢٤٨ أن محمد بن المستنير الملقب قطرب « كان معلما لولدى أبى دلف » .

١٩ ـ طاش كبرى زاده ، **الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية** ، بيروت ، دار الكتاب العربى ، ١٩٧٥ ، ص ٢١٠ قال عن الشيخ رستم : « كان يستر أحواله عن الناس حتى إنه كان يعلم الصبيان لستر أحواله » .

٢٠ ـ ابن خلكان ، **وفيات الأعيان** ، ج ـ ٢ (تحقيق د . إحسان عباس) ، بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٦٩ ، ص ٤٦١ .

٢١ ـ جمال الدين القفطى ، **إنباه الرواة على أنباه النحاة** ، ج ـ ٣ ، (تحقيق محمد ابى الفضل ابراهيم) . القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٥٥ ، ص ١٧٩ .

ويورد لابن حبيب قوله : إذا قلت للرجل ما صناعتك ؟ فقال معلم ، فاصفع وأنشد :

ان المعلم لا يزال معلما ... لو كان علم آدم الاسماء
من علم الصبيان أصبوا عقله ... حتى بنى الخلفاء والخلفاء

٢٢ ـ Musgrave (p . w .) , **Rhe Sociology of Education** , London , Lethuen & Co Ltd . , 50 ed. , 1968, p . 218 .

٢٣ ـ جمال الدين القفطى ، مرجع سابق ، ص ٢٩٢ .

٢٤ ـ ابن جماعة ، **تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم** . بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٣٥٤هـ ، ص ١٧ .

٢٥ ـ ابن كثير ، **البداية والنهاية** ، ج ـ ٩ ، بيروت ، دار المعارف ١٩٦٦ ، ص ١٧٧ . وابن العماد الحنبلى ، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** ، ج ـ ١ ، بيروت ، المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع ، (د . ت) ، ص ٢٠٨ .

أنـظر ـ الأصفهانى ـ **الأغـانى** ، ج ـ ٦ ، ص ١٣٢ ، وابن النديم ، **الفهرست** ، ص ٤٧٢ .

٢٦ ـ رودلف زلهايم ، **العلم والعلماء في عصور الخلفاء** ، (تعريب د . عطية رزق) بيروت ، دار الامانة ، ١٩٧٢ ، ص ٢٤ .

٢٧ ـ الفيروز أبادى ، مرجع سابق ، ص ٤٩ .

٢٨ ـ ابن العماد الحنبلى ، مرجع سابق ، ص ٢٧٠ .

٢٩ ـ السيوطى ، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة** ، ج ـ ٢ ، (تحقيق محمد أبى الفضل ابـراهيم) ، القاهـرة ، مطبعـة الحلبى ، ط ـ ١ ، ١٩٦٥م ص ٤٩ .

٣٠ ـ ابن خلكان ، مرجع سابق ، م ـ ٣ ، ص ٢٩٦ ، وانظر : عماد الدين اسماعيل أبو الفداء ، **المختصر في أخبار البشر** ، ج ـ ٢ ، القاهـرة ، المطبعة الحسينية المصرية ، (د . ت) ، ص ٢٨ .

٣١ ـ رودلفازلهايم ، مرجع سابق ، ص ٣٣ .

٣٢ ـ ابن الجوزى ، مرجع سابق ، ص ٣٣ ، وانظر ـ ابن النديم ـ مرجع سابق ، ص ١٨٥ .

٣٣ ـ انظر :

ابن الفرضى ، **تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس** ، ج ـ ١ ، (نشر وتصحيـح السيـد عـزت العـطار الحسينى) ، القـاهـرة ١٩٥٤ ، ص ص ١٠٣ ، ١١١ ، السيـوطى ، مـرجـع سـابق ، ص ٤٩ ، ص ٤٦٣ ، ص ٥٨٥ ، ص ٦٠٧ .

٣٤ ـ المرجع السابق ، ص ٤٦١ ، وانظر ياقوت ، مرجع سابق ، ج ـ ٢ ، ص ٣٥٨ .

٣٥ ـ انظر ـ رودلف زليهايم ، مـرجع سـابق ، ص ٢٦ والفيروز أبـادى ، مـرجع سـابق ، ص ٢٥١ ، وابن العماد الحنبـلى ، مرجـع سابق ، ج ـ ٣ ، ص ١٠٦ .

٣٦ ـ ابن خلكان ، مرجع سابق ، م ـ ٢ ، ص ٣١١ .

٣٧ ـ ياقوت ، مرجع سابق ، ج ـ ٣ ، ص ٨٨ ، ١٠٢ ، ١٠٤ .

٣٨ ـ الفيروز أبادى ، مرجع سابق ، ص ٢٨ .

٣٩ ـ ياقوت ، مرجع سابق ، ج ـ ٢ ، ص ٨٧ .

٤٠ ـ المرجع السابق ، ص ٣٣١ .
٤١ ـ السيوطى ، مرجع سابق ، ص ٥٢٩ .
٤٢ ـ المرجع السابق ، ص ٦٠٧ .
٤٣ ـ السيوطى ، مرجع سابق ، ص ٢٦٢ .
٤٤ ـ المرجع السابق ، ص ٥٤٢ .
٤٥ ـ ياقوت ، مرجع سابق ، ج ـ ٦ ، ص ١١٢ .
٤٦ ـ القفطى ، مرجع سابق ، ص ١٦٧ .
٤٧ ـ السيوطى ، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، ج ـ ١ ، (تحقيق محمد أبى الفضل ابراهيم) ، القاهرة ، الحلبى ، ١٩٦٧ ، ص ٣٥٥ .
٤٨ ـ السيوطى ، بغية الوعاة ، مرجع سابق ، ص ١١٧ .
٤٩ ـ ياقوت ، مرجع سابق ، ج ـ ١ ، ص ٢٨٠ .
٥٠ ـ الفيروز أبادى ، مرجع سابق ، ص ص ٢٤٧ ـ ٢٤٨ .
٥١ ـ رودلف زليهايم ، مرجع سابق ، ص ٢٨ .
٥٢ ـ السيوطى ، بغية الوعاة ، مرجع سابق ، ص ٥٥ .
٥٣ ـ المرجع السابق ، ص ٢٥٩ .
٥٤ ـ ياقوت ، مرجع سابق ، ج ـ ٥ ، ص ص ٤٢٤ ـ ٤٢٧ .
٥٥ ـ المرجع السابق ، ج ـ ١ ، ص ص ٤٠٦ ـ ٤٠٧ .
٥٦ ـ المرجع السابق ، ج ـ ٢ ، ص ٥ .
٥٧ ـ السيوطى ، بغية الوعاة ، مرجع سابق، ج ـ ٢ ، ص ص ١٥٣ ـ ١٥٤ . وانظر الصفدى ، الوافى بالوفيات ج ـ ١ ، استنبول ، مطبعة الدولة ، ١٩٣١ ، ص ص ١٤٣ ـ ١٤٤ .
٥٨ ـ رودلف زلهايم ، مرجع سابق ، ص ٢٩ .
٥٩ ـ السيوطى ، بغية الوعاة ، مرجع سابق ، ج ـ ١ ، ص ص ٥٩٠ ـ ٥٩١ .
٦٠ ـ ياقوت ، مرجع سابق ، ج ـ ٥ ، ص ص ٤٣٠ ـ ٤٣٢ .
٦١ ـ القفطى ، مرجع سابق ، ص ٣٦٤ .
٦٢ ـ الفيروز أبادى ، مرجع سابق ، ص ٢٤٩ .
٦٣ ـ الخطيب البغدادى ، مرجع سابق ، م ـ ٢ ، ص ص ٣٥٨ ـ ٣٥٩ .

٦٤ ـ القطفى ، مرجع سابق ، ص ١٩٣ .
٦٥ ـ المرجع السابق ، ص ١٦٥ .
٦٦ ـ ابن النديم ، الفهرست ، ليبزج ، فرلاج فون فوجل ، ١٨٧١ ، ص ٦٨ .
٦٧ ـ المرجع السابق ، ص ٧١ .
٦٨ ـ السيوطى ، بغية الوعاة ، مرجع سابق ، ج ـ ١ ، ص ٦٨ .
٦٧ ـ المرجع السابق ، ص ٧١ .
٦٨ ـ السيوطى ، بغية الوعاة ، مرجع سابق ، ج ـ ١ ، ص ٣٠٢ .
٦٩ ـ المرجع السابق ، ص ٥٢٦ .
٧٠ ـ ياقوت ، مرجع سابق ، ص ص ٤٧ ـ ٤٨ .
٧١ ـ انظر : ـ

زينب بنت يوسف فواز العاملى ، الدر المنثور في طبقات ربات الخدور. . ، بيروت ، دار المعرفة ، ط ـ ٢ ، (مصورة بالاوفست عن طبعة المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق ـ ١٣١٢هـ) ، ص ١٦٥ ، ١٦٦ ، ٣٣٠ ، ٥١٠ ، وانظر كذلك ياقوت ، مرجع سابق ج ـ ٤ ، ص ص ١١٩ ـ ١٢٣ .

٧٢ ـ ياقوت ، مرجع سابق ، ج ـ ٢ ، ص ٨٧ .
٧٣ ـ المرجع السابق ، ج ـ ٥ ، ص ٣٢٩ .
٧٤ ـ يذكر ابن الفرضى (مرجع سابق) ، ص ٣٣٧) عن عيسى بن سعيد بن سعدان الكلبى من أهالى قرطبة بأنه « انصرف إلى الاندلس فلزم التأديب » والسيوطى (بغية الوعاة، ج ـ ١ ، ص ص ٣٣٦ ـ ٣٣٧) يذكر عن أحمد بن علوية الأصبهانى الكرانى بأنه « كان يتعاطى التأديب » .
٧٥ ـ ياقوت ، مرجع سابق ، جـ ٢ ، ص ٣ .
٧٦ ـ السيوطى ، بغية الوعاة ، مرجع سابق ، ج ـ ١ ، ص ص ٥٦٣ ـ ٥٦٤ .
٧٧ ـ ابن خلكان ، مرجع سابق ، ج ـ ١ ، ص ٥٥٣ . وانظر ـ بهاء الدين العاملى ، الكشكول ، ج ـ ٢ ، القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٦١ ، ص ٣٤٨ .

٧٨ ـ ابن النديم ، مرجع سابق ، ص ٨٢ .
٧٩ ـ المرجع السابق ، ص ٨٢ ، ص ١١٧ .
٨٠ ـ ياقوت ، مرجع سابق ، ج ـ ١ ، ص ص ٤٧ ـ ٤٨ .
٨١ ـ انظر ـ ابن النديم ، مرجع سابق ، ص ٨٢ ، ص ١٥٤ .
وانظر السيوطى ، بغية الوعاة ، مرجع سابق ، ج ـ ٢ ، ص ٥٥ .
وياقوت ، مرجع سابق ، ج ـ ٥ ، ص ص ٤٣٠ ـ ٤٣١ ، ج ـ ٦ ، ص ١٠٣ .
٨٢ ـ المرجع السابق ، ج ـ ٥ ، ص ١٨٦ .
٨٣ ـ القفطى ، مرجع سابق ، ص ص ٢٢٧ ـ ٢٢٨ .
٨٤ ـ ياقوت ، مرجع سابق ، ص ص ٢٢٧ ـ ٢٢٨ .
٨٤ ـ ياقوت ، مرجع سابق ، ج ـ ٤ ، ص ١٠٤ .
٨٥ ـ ابن النديم ، مرجع سابق ، ص ٧٣ .
٨٦ ـ ياقوت ، مرجع سابق ، ص ٧٣ .
٨٦ ـ ياقوت ، مرجع سابق ، ج ـ ١ ، ص ١٢٢ .
٨٧ ـ د . محمود قمبر ، نظم التعليم المفتوح ، بغداد ، بحوث المؤتمر الفكرى الثانى للتربويين العرب ، حزيران ١٩٧٨ ، ص ٢٠ .
٨٨ ـ النويرى ، نهاية الأرب ، السفر السادس ، القاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، (د . ت) ص ٣١١ .
يقول النويرى : « . . فأما من يراعى عمله في الوفور والتقصير فكالطب والتعليم . . (ويوضح مستطردا) وللمعلمين من الطرائق التى ينشأ الصغار عليها ما يكون نقلهم عنه بعد الكبر عسيرا ، فيقر (المحتسب) منهم من توفر علمه وحسنت طريقته ، ويمنع من قصر وأساء من التصدى لما تفسد به النفوس وتخبث به الآداب » .
٨٩ ـ انظر تقسيم الجاحظ للمعلمين في طبقاتهم ، البيان والتبيين ، ج ـ ١ ، (تحقيق عبد السلام هارون) ، القاهرة ، الخانجى ، ١٩٧٥ ، ص ص ٢٥٠ ، ٢٥١ ، يقول الجاحظ : « والمعلمون عندى على ضربين : منهم رجال ارتفعوا عن تعليم أولاد العامة إلى تعليم أولاد الخاصة ، ومنهم رجال ارتفعوا عن تعليم أولاد الخاصة إلى تعليم أولاد الملوك أنفسهم المرشحين للخلافة » ويفرق بين هؤلاء الأفاضل وبين عامة

المعلمين البسطاء الذين يكثر فيهم الحمقى . وكان يحرص على التفريق بين طوائف المعلمين ، فيقول « ومنهم أبو سعيد المؤدب ، وهو غير أبي سعيد المعلم » ويذكر اسم كل منهما بالتفصيل حتى لا يختلط فى أذهان الناس المؤدب والمعلم .

المرجع السابق ، ص ٢٥٢ .

٩٠ ـ محمد كردعلى ، **الإسلام والحضارة العربية** ، ج ـ ١ ، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٨ ، ص ٤ .

٩١ ـ الصفدى ، **الوافى بالوفيات** ، ج ـ ١ ، استانبول ، مطبعة الدولة ، ١٩٣١ ، ص ١٠٤ .

٩٢ ـ انظر ابن الفرضى ، مرجع سابق ، ص ٤٧ ، ١٦١ ، ٢٨٩ .

٩٣ ـ المرجع السابق ، ص ٢٣٧ ، والقفطى ، مرجع سابق ، ص ص ٣١٣ ـ ٣١٥ .

٩٤ ـ ياقوت ، مرجع سابق ، ج ـ ٢ ، ص ٣ ، وابن الفرضى ، مرجع سابق ، ص ٢٣٧ .

٩٥ ـ ابن خلكان ، مرجع سابق ، ج ـ ٤ ، ص ص ٣٧٢ ـ ٣٧٣ .
والسيوطى ، بغية الوعاة ، مرجع سابق ، ج ـ ١ ، ص ٣٦٦ .

٩٦ ـ ابن الفرضى ، مرجع سابق ، ص ٤٣٧ .

٩٧ ـ أبو القاسم محمود بن سراج العلماء عمر الزمخشرى ، **ربيع الأبرار** ، مخطوط بالمكتبة الوطنية بباريس ، تحت رقم ٣٤٩٩ ، ورقة ٤٤ .
وانظر كذلك ـ أبو الفداء ، **البداية والنهاية** ، ج ـ ٩ ، بيروت ، مكتبة المعارف ، ط ـ ١ ، ١٩٦٦ ، ص ٦٦ .

٩٨ ـ الجاحظ ، البيان والتبيين ، مرجع سابق ، ج ـ ٢ ، ص ١٧٩ .

٩٩ ـ د . محمود قمبر ، « مهنة التعليم في التراث العربى وانعكاساتها في التعليم المعاصر » في **المجلة العربية للتربية**، المجلد الثالث العدد الاول ، مارس ١٩٨٣ ص ٩٩ .

١٠٠ ـ انظر ـ د . على حسنى الخربوطلى ، **الحضارة العربية الإسلامية** ، القاهرة ، الانجلو المصرية ، (د . ت) ، ص ٣٣٠ ، ٣٣٣ .
وانظر كذلك ـ محمد عطية الإبراشى ، **التربية الإسلامية وفلاسفتها** ،

القاهرة ، الحلبى وشركاؤه ، ج - ١ ، ١٩٦٩ ، ص ص ٣٠١ - ٣٠٢ .

وانظر كذلك - محمد بن فاضل بن مامين ، **نعت البدايات وتوصيف النهايات** ، بيروت ، دار الفكر ، (د . ت) ، ص ١٥٦ .

١٠١ - التوحيدى ، **البصائر والذخائر** ، م - ٣ ، دمشق ، مكتبة اطلس ومطبعة الانشاء ، (ت . د) ص ص ٢٦٧ - ٢٦٨ .

١٠٢ - ابن العماد الحنبلى ، مرجع سابق ، ج - ٢ ، ص ١٠٦ .

103 - Munir - ud - Din Ahmed , **Muslim Education and the Scholars Social Status Up to the 5 th Century Era (11 th century christian Era) in the light of tarikh Baghdad** , verlag , Dar Islam , Zurich , 1968 pp . 46 - 47 .

١٠٤ - ياقوت ، مرجع سابق ، ج - ٥ ، ص ص ١٠٩ - ١١٠

١٠٥ - انظر ص

١٠٦ - الخطيب البغدادى ، مرجع سابق ، م - ٢ ، ص ص ٣٥٨ - ٣٥٩ .

١٠٧ - لمعرفة هذه الطرائق ، أرجع إلى د . محمود قمبر ، « مهنة التعليم . . . » مرجع سابق ، ص ص ١١٠ - ١١٧ .

١٠٨ - انظر القصة كاملة في التنوخى ، **نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة** ، ج - ٣ ، (تحقيق عبود الشالجى) بيروت ، دار صادر ، ١٩٧٢ ، ص ص ١٤٧ - ١٤٨ .

١٠٩ - يترجم ياقوت لدوخلة المؤدب المعروف بابن القارح ، فيقول : « كانت معيشته التعليم (أى التأديب) بالشام ومصر » .

ياقوت ، مرجع سابق ، ج - ٥ ، ص ص ٤٢٤ - ٤٢٥ .

١١٠ - السيوطى ، حسن المحاضرة ، مرجع سابق ، ج - ١ ، القاهرة ، الحلبى ، ١٩٦٧ ، ص ٣٥٥ .

١١١ - ابن العماد الحنبلى ، مرجع سابق ، ج - ٤ ، ص ٢٨٤ .

١١٢ - السيوطى ، بغية الوعاة ، مرجع سابق ، ج - ١ ، ص ٤٥٧ .

١١٣ - انظر بعض الأمثلة في الشوكانى ، مرجع سابق ، ج - ٢ ، ص ٣٠٦ - ٣٠٨ .

وفي طاش كبر زاده ، مرجع سابق ، ص ٣٠ ، ٥٣ ـ ٥٤ ، ١٠٦ ـ ١٠٧ .
١١٤ ـ ياقوت ، مرجع سابق ، ج ـ ١ ، ص ٦٠ .
١١٥ ـ د . أحمد شلبى ، مرجع سابق ، ص .
١١٦ ـ ياقوت ، مرجع سابق ، ج ـ ٢ ، ص ١٤٤ .
١١٧ ـ القفطى ، مرجع سابق ، ص ٣٦٤ .
١١٨ ـ المرجع السابق ، ص ١٩٧ .
١١٩ ـ ابن خلكان ، مرجع سابق ، ص ٣١١ .
١٢٠ ـ ياقوت ، مرجع سابق ، ج ـ ٥ ، ص ص ١٠٩ ـ ١١١ .
١٢١ ـ المرجع السابق ، ج ـ ١ ، ص ٢٩ .
١٢٢ ـ ناجى معروف ، تاريخ علماء المستنصرية ، بغداد ، مطبعة العانى ، ط ـ ١ ، ١٩٥٩ ، ص ٤٩ .
١٢٣ ـ الخطط المقريزية ، ج ـ ٢ ، بيروت ، دار صادر ، (د . ت) ، ص ٣٦٥ .
١٢٤ ـ المقرى ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب م ـ ٢ (تحقيق د . احسان عباس) ، بيروت ، دار صادر ، ١٩٦٨ ، ص ٣٤١ .
١٢٥ ـ طاش كبرى زاده ، مرجع سابق ، ص ص ٦٠ ـ ٦١ .
١٢٦ ـ المرجع السابق ، ص ٥٩ ، ٧٦ ـ ٧٧ ، ٩٢ ـ ٩٥ ، ١٦٧ ، ١٩٢ ـ ١٩٣ .
١٢٧ ـ ياقوت ، مرجع سابق ، ج ـ ١ ، ٢٢٠ ـ ٢٢١ .
١٢٨ ـ المرجع السابق ، ص ص ٤٧ ـ ٤٨ . ج ـ ٢ ، ص ١٣٥ .
١٢٩ ـ د . محمود قمبر ، مهنة التعليم . . مرجع سابق ، ص ٩٣ .
١٣٠ ـ ابن النديم ، مرجع سابق ، ص ٧١ .
١٣١ ـ ياقوت ، مرجع سابق ، ج ـ ٥ ، ص ص ١٨٣ ـ ١٨٦ .
١٣٢ ـ ابن الفرضى ، مرجع سابق ، ص ٤٥٩ .
١٣٣ ـ السيوطى ، بغية الوعاة ، مرجع سابق ، ص ١١٧ .
١٣٤ ـ رودلف زلهايم ، مرجع سابق ، ص ص ٣٣ ـ ٣٤ .
١٣٥ ـ السيوطى ، بغية الوعاة ، مرجع سابق ، ص ص ١٤٠ ـ ١٤١ .
١٣٦ ـ محمد عطية الابراشى ، التربية الإسلامية وفلاسفتها ، القاهرة ، الأنجلو المصرية ، ط ـ ٢ ، ١٩٦٠ ، ص ص ١١٧ ـ ١١٨ .